

## مقدمة لدراسة العوامل التي تمنع الاستفادة من الكفاءات العربية

هي الطاقة البشرية . وهي حاليا مبثورة ، مقيدة ومضطهدة ، فان جمعت وعبئت فستكون البديل للمساعدات الامريكية والخبرة الغربية .

ان الارادة البشرية هي التي توجه الالة الغربية لا العكس . فان انعدمت الارادة العربية والتنظيم الجماهيري فلا يمكن الاستفادة من التكنولوجيا الغربية .

من هنا تأتي اهمية دور المثقفين والعلماء العرب . فهم جزء اساسي من الطاقة البشرية ، بل اهم مقوماتها ، وهم يمثلون الفئة المدربة والخيرة التي ستتحمل دورا رئيسيا في عملية البناء الجديد .

ان العالم الثالث والعالم العربي في امس الحاجة الى مثقفيه وعلمائه . ولقد صرفت الدول العربية ملايين الدولارات على بعثاتها العلمية . لذلك تعتبر هجرة الكفاءات العربية خسارة مزدوجة . فهي ضياع لاستثمارات هامة كما انها خسارة لطاقات مطلوبة في المجتمع النامي .(٢)

حول مفهوم « الكفاءات العربية » :

لا شك ان « الكفاءات العربية » مهمله من قبل الوطن العربي . ولكن الكتاب يطلقون تعبير « الكفاءات العربية » على العلماء العرب في الخارج ، بينما يجب ان يشمل هذا التعبير العلماء والكفاءات خارج العالم العربي وداخله .

ان « الكفاءات العربية » داخل الوطن العربي طاقات هامة ايضا . ولعل اهمال هذه الطاقات والكفاءات في الداخل هو احد الاسباب الرئيسية لهجرتها .

والانسان العربي هو الطاقة الاساسية في المجتمع . واهمال هذا الانسان كطاقة خلاقة بنساءه هو احد الاسباب الرئيسية لعدم

يبر الوطن العربي في اواخر القرن العشرين باهم مراحل نفيه . فبذره هي مرحلة ارساء اسس النهضة العربية المجيدة ، باعادة بناء المجتمع التقدمي الذي يضمن الحرية والحماية لطبقات الشعب المحرومة .

ومرحلة ما بعد الاستقلال هي اصعب مراحل الانتقال . الوطن العربي جزء من العالم الثالث الذي واجه التخلف والفقر والاستغلال بسبب الاستعمار في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، ورغم انحسار الاستعمار الغربي في القرن العشرين فان مشاكل التخلف لا تزال التحدي الاساسي امام المجتمع العربي .

فهل ستتمكن الامة العربية من التغلب على هذه المشاكل الرئيسية ، والانطلاق الى مرحلة البناء الجديد ؟

ان اهم مصادر قوة الوطن العربي هي الطاقة البشرية . وازضافة الى ذلك ، فان الطاقة البشرية هي اساس مرحلة التحرر والتحول الجذري وهي لم تستغل بعد في مرحلة البناء الجديدة . ولقد اثبتت تجارب بعض شعوب العالم الثالث ، وخاصة الصين الشعبية وفيتنام وكمبوديا ، بان الطاقة البشرية هي اساس مرحلة التحرر والتحول الجذري في المجتمع .(١)

ويضخم بعض الكتاب الغربيين والعرب دور التكنولوجيا الغربية في حل مشاكل الوطن العربي . ويعتبرها بعضهم العامل الاساسي لحل مشاكل التخلف (٢) . ولكن القوة الاساسية في الوطن العربي

(١) راجع كتابات ماوتسي تونج حول تحليل طبقات المجتمع الصيني وتنظيم صفوف الفلاحين الذين يعتبرهم القوة الرئيسية في المجتمع . « مؤلفات ماوتسي تونج المختارة » ( بكين ، دار النشر باللغات الاجنبية ، ١٩٦٨ ) المجلد الاول .

(٢) راجع المقالات التي نشرت في مجلة « كتابات مصرية » حول دراسة الانفتاح الاقتصادي الجديدة في مصر والاتجاه نحو الاستثمارات والشركات الغربية والنقد الشديد لهذه السياسة من قبل عدد من الكتاب المصريين ومنهم عادل كمال الشريف ، عمر ابراهيم الكاشف ، وحليل ناصف . كتابات مصرية ( سبتمبر - ١٩٧٤ ) .

(٣) يشير د. محمد عبدالقادر احمد الى التكاليف المرتفعة لاستيراد الخبرات الفنية ، واعداد الخبرات العربية « هجرة العلماء العرب » الثقافة العربية ( ابريل - ١٩٧٥ ) ص ٢٣-١٢ .

تمكن الوطن العربي من مواجهة مشاكله الحالية . فالفلاح والعمل العربي هما جزء من الطاقات العربية المهمة . ولا يمكن للمثقف او العالم ان يلعب دوراً فعالاً في مجتمع يضطهد فيه الفلاح والعمل . (٤)

كما ان المرأة العربية ، التي تمثل نصف الطاقة البشرية في الوطن العربي ، لا تزال محرومة من المشاركة في عملية البناء الجديد . وفي بعض الدول العربية تمنع المرأة من العمل (٥) .

فالمشكلة اذن ليست فقط كيفية استعادة الكفاءات العربية من الخارج ، انما كيف يمكن خلق الظروف الملائمة للاستفادة من الطاقات والكفاءات البشرية في الداخل ، وبالتالي القضاء على اسباب هجرة الكفاءات العربية للخارج .

تحاول هذه الدراسة معالجة بعض العوامل التي تمنع الاستفادة من الكفاءات العربية في الوطن العربي ، وهي بذلك مقدمة لدراسة بعض المشاكل التي يواجهها المثقفون العرب في مجتمعهم ، كما انها محاولة لاثارة الاسئلة وفتح مجالات البحث في اسباب التخلف في هذا المجال الهام .

ولقد ركزت بعض الدراسات حول هذا الموضوع على العوامل الخارجية التي تؤثر على هجرة الكفاءات العربية (٦) . ولكن العوامل الداخلية اهم بكثير من العوامل الخارجية . ولو استطاع الوطن العربي حل بعض مشاكله الداخلية وتأمين الجو السياسي والاقتصادي والاجتماعي المناسب لما هاجرت الكفاءات العربية مما كان اغراء العوامل الخارجية .

ما هي العوامل الداخلية التي تعيق الاستفادة من الطاقات البشرية في العالم العربي ؟

العوامل السياسية :

ان الوضع السياسي هو الاطار الاساسي لعملية الاستفادة من الطاقات البشرية . ففي المراحل التي تزدهر فيها الديمقراطية والحرية والاستقرار السياسي ، يزدهر فيها ايضا العقل البشري ويساهم في عملية بناء مجتمعه .

لقد حدثت هجرة الكفاءات العربية في مراحل الاضطهاد والاستبداد السياسي (٧) . ففي فترة الاضطهاد العثماني في اوائل القرن العشرين اشتدت هجرة الطاقات البشرية الى أمريكا ، كما ان هجرة العلماء العرب ازدادت وتضاعفت في الفترة من ١٩٥٠

الى ١٩٦٧ التي تميزت بعدم الاستقرار السياسي في الوطن العربي . قلت ان الفكر العلمي والعقل العربي سيضيء في فترات النظم والاستبداد السياسي . وقد أكد احد الباحثين العرب ان الدول العربية ستحتل أعلى المراتز العلمية (٨) .

١ - مشكلة الحرية :

ان الحرية هي الاساس لانطلاق الفكر والعقل . وانعدام الحرية في العالم العربي هو أحد الاسباب الرئيسية لهروب الكفاءات العربية (٩) .

والطروح هنا ليس مفهوم الحرية المطلقة بالشكل الغربي ، وانما حرية الرأي والتفكير ضمن الالتزام بالايديولوجية الواضحة التي تتبع من الالتزام ببناء المجتمع المتحرر التقدمي الجديد .

بدون حرية الرأي وحرية التعبير لا يمكن للمثقف او العالم ان ينتج في مجتمعه . ففي عدد من الدول العربية نجد حرية الرأي والكلمة مقيدة . فالصحافة تابعة للفئة الحاكمة ، والمثقف او العالم يتخوف من الاضطهاد بسبب التعبير عن رأيه بحرية .

وفي بعض الدول العربية لا يوجد قسم للدراسات السياسية في الجامعات بسبب تخوف الفئة الحاكمة من تدريس الموضوعات السياسية المختلفة .

اما القضية الاخرى المرتبطة بالحرية فهي قضية حقوق الانسان . ففي الوطن العربي ، تكاد حقوق الانسان تكون معدومة ، حق الانسان في الحياة والعمل والتعبير عن الرأي .

فالسلطة والقانون هما لحماية الانسان وتأمين حقوقه الاساسية . فهل تعمل السلطة لحماية الانسان العادي في العالم العربي ، ام يعتبر اداة للسلطة ؟

لقد هاجر العديد من العلماء العرب سعياً وراء الحرية والحقوق الاساسية . لذلك فان عودة الكفاءات العربية والاستفادة مما توفر منها في الوطن العربي مرتبطة بتأمين جو من الحرية وضمان حقوق الانسان .

٢ - مشكلة المشاركة الديمقراطية :

يواجه المثقفون العرب مشكلة المشاركة في السلطة في الوطن العربي . ففي عدد من الدول العربية تنحصر السلطة في يد مجموعة صغيرة ، سواء كانت عائلة مالكة ام عسكريين واعضاء الحزب الحاكم (١٠) .

(٨) وصفي حجاب « الفكر العربي في مائة سنة - الفكر العلمي »

الفكر العربي في مائة سنة ، من ٦٢٨ .

(٩) يعتبر د. قسطنطين زريق ان الحرية « اول مطالب الفكر واهم شروط فعله وازدهاره » ، ويؤكد انه لولا الحرية لما استطاع الفكر ان يحرز ما احرزه في تاريخ الانسانية من انجازات رائعة في شتى الحقول . قسطنطين زريق ، « الجامعة ومستقبل الفكر العربي » الفكر العربي في مائة سنة . ص ٦٤٦ .

(١٠) وجدت دراسة الامم المتحدة عن هجرة الكفاءات من خمس دول نامية بان احد اسباب الهجرة هو التصادم بين الاقلية الحاكمة والخبراء المتخصصين ، وبان الكفاءات اهملت ولم تعط فرصة للمشاركة في حل مشاكل وطنها مما دفعها للهجرة .

The Barin Drain From Five Developing Countries.

(Colombia - Lebanon - Philippines - Trinidad & Tobago)

(U.N. Institute For Research - New York, 1971). p. 16.

(٤) راجع كتابات ماوتسي تونج حول القوى الباعثة في الثورة وخاصة الفلاحين .

(٥) راجع كتابات قاسم امين حول المرأة العربية ، حيث اعتبر ان هناك تلازماً بين انحطاط المرأة وانحطاط الامة ، واكد بان ارتفاع الامم يحتاج الى عوامل مختلفة من اهمها ارتفاع المرأة . اديب نصور « مقدمة لدراسة الفكر السياسي العربي في مائة عام ( ١٨٥٠ - ١٩٤٨ ) » . الفكر العربي في مائة سنة ( بيروت ، الجامعة الامريكية ١٩٦٧ ) . ص ٩٣ .

(٦) يعطي د. الياس زين الاولوية لجاذبية العوامل الخارجية ومنها بشريتها الهجرة الامريكية الجديدة وفن تهجير الادمغة الغربي والرواتب الموفرة وغيرها . الدكتور الياس زين ، هجرة الادمغة العربية ( بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٣ ) ، ص ٨٥-٩٦ .

(٧) د. محمد عبد القادر احمد ، ص ١٤ .

ما هي العلاقة بين الحاكم والمثقف ؟ وهل دور المثقفين والعلماء هو دعم الحاكم ومدحه رغم أخطائه أم التعبير عن رأيه بحرية وانتقاد الحاكم في المجالات التي يراها هامة ؟

يشك الحاكم العربي في المثقفين ، ويشترط عليهم ولاء بمعدهم عن الجو العلمي الموضوعي . كما أن معيار مشاركة المثقف في السلطة يصبح مدى التزامه بعضوية الحزب الحاكم ، بدل كفاءته ومقدرته العلمية . وفي مرحلة الصراع داخل الحزب أو الدولة تصفي قوى فكرية وعلمية تمثل كفاءات هامة بالنسبة للوطن . وفي عدد من الدول العربية يجد المثقفون والعلماء العرب أنفسهم منفيين من اوطانهم بسبب هذه الاوضاع السياسية(١١) .

في مثل هذه الظروف السياسية ، تنزل الكفاءات العربية من مراكز السلطة ، ونفضل الهروب الى الخارج واللجوء الى المجتمع الغربي ، هذا في المرحلة التي يكون فيها المجتمع العربي في أمس الحاجة الى الكفاءات العلمية والفكرية .

٣ - عدم الاستقرار السياسي :

ساهمت الانقلابات السياسية المفاجئة والتكسات والهزائم العربية في المرحلة الاخيرة في خلق جو سياسي مضطرب مما ادى الى انزوال الكفاءات العربية عن مجتمعها . فالفكر والعالم يحتاج الى جو من الاستقرار السياسي ووضوح الاتجاه السياسي ليتمكن من الانتاج والعمل . كما ادت الحروب الاهلية العربية بين ١٩٥٠ - ١٩٦٠ ( خاصة في العراق وسوريا ) الى هروب الكفاءات العربية وتصفية طاقات فكرية مؤهلة للمشاركة في عملية البناء .

وقد تكون مرحلة عدم الاستقرار السياسي طبيعية في فترة ما بعد الاستقلال بسبب وجود التناقضات السياسية والطبقية الحادة . ولكن هذه المرحلة يجب ان تنتهي وتنتج منها مرحلة الوحدة الوطنية على اساس سياسي واضح لتتمكن جميع قوى الشعب ، بما فيها المثقفون والعلماء ، من التفرغ لعملية البناء الجديد(١٢) .

وتحاول بعض الدول العربية حاليا ، كالعراق وليبيا والجزائر وغيرها ، تأمين الاستقرار السياسي وتعميق وحدة القوى الوطنية من اجل توجيه كل الطاقات نحو بناء المجتمع وتطويره .

مشكلة البيروقراطية العربية :

(١١) كتب جمال الدين الافغاني بان احد اسباب انحطاط المسلمين هو الفجوة بين العلماء والملوك وانقسام الرتبة العلمية عن رتبة الخلافة . اديب تصور ، « مقدمة لدراسة الفكر السياسي العربي في مائة عام » ص ٨٩ ، كما اشار د . اسحق موسى الحسيني الى فساد الحكام واخذهم حاشية تسكت عن الفساد بفساد مثله ، « ابحاث في ماضي المسلمين وحاضرهم » ( القاهرة ، المجلس الاعلى للشئون الاسلامية عام ١٩٦٦ ) ص ٧٥ .

(١٢) يشدد بعض الكتاب العرب على اهمية وحدة القوى الوطنية والثورية في كل قطر عربي كخطوة نحو الوحدة العربية ، د . رفعت السعيد « الوحدة العربية - نقاط الاتفاق ونقاط الخلاف » الطليعة - القاهرة ، مايو ١٩٧٤ ) . كما ينتقد بعض الكتاب التجربة الناصرية من حيث اهمالها تقوية قوى الشعب خاصة الفلاحين والعمال ، عن طريق بناء الطبقة العاملة واستكمال الثورة الوطنية الديمقراطية كخطوة نحو الاشتراكية . ط.ث. شاعر « قضايا التحرر الوطني والثورة الاشتراكية في مصر » ( بيروت دار الفارابي ، ١٩٧٣ ) .

بواجه المثقفون العرب اجهزة بيروقراطية خلفتها عصور الحكم العثماني والاستعمار الغربي . تقف هذه البيروقراطية الحكومية ، بقوانينها واحكامها ومؤسساتها ، عائقا رئيسيا في وجه التفسير الجذري المطلوب في المجتمع العربي .

ويجد العالم والمثقف العربي نفسه مقيدا من قبل هذه المؤسسات الحكومية ويفقد القدرة على الانتاج والابداع في مجاله العلمي والثقافي .

لذلك يحتاج الوطن العربي الى نفي جذري يقتلع هذه المؤسسات القديمة ويعيد بناء المؤسسات الحكومية بشكل يتلاءم مع متطلبات المجتمع الجديد ويفتح المجال امام العقل والفكر العربي للقيام بدوره المطلوب . كما انه لا بد من انشاء مؤسسات علمية وثقافية جديدة ، بعيدة عن البيروقراطية الحكومية ، لتكون مراكز يمت للنهضة العربية الجديدة(١٣) .

ان دراسة هذه المشاكل السياسية ، والتعمق في اسبابها وجذورها ووسائل حلها ، يساعد على خلق الجو السياسي المناسب للاستفادة من الطاقات والكفاءات البشرية والعلمية في الوطن العربي .

### العوامل الثقافية والاجتماعية :

بواجه الوطن العربي ، بسبب مروره بمرحلة تطور انتقائية ، مشاكل وازمات ثقافية واجتماعية عديدة . وتؤثر هذه المشاكل تأثيرا مباشرا على المثقفين العرب وعلى دورهم في المجتمع العربي .

ومن الملاحظ ان الدراسات حول المشاكل الاجتماعية والثقافية في الوطن العربي قليلة . فلا بد اذن من اثار الاسئلة والبحث حول هذه المشاكل والازمات التي تواجه الكفاءات العربية .

١ - ازمة الهوية العربية :

بواجه المثقف العربي ازمة الهوية او الانتماء العربي ، فالى اي مجتمع ينتمي الانسان العربي ؟ المجتمع الاسلامي المحافظ ، ام المجتمع الاشتراكي التقدمي ؟ وما هي الاسس التي يقوم عليها المجتمع ؟ هل هي التقاليد والعادات الاسلامية ام المفاهيم الغربية الجديدة ؟

ان هذه اشد الازمات بالنسبة للمثقف والعالم الذي قضى فترة في المجتمع الغربي واستمد نفاقته وعلمه من هذا المجتمع . لذلك لدى عودته للوطن العربي يواجه مجتمعا له تقاليده وعاداته التي تصطم مع التربية والتنشئة الغربية للمثقف . وتزداد حدة هذه الازمة بسبب الصراع الدائر في الوطن العربي حول هذه القضية ، خاصة في مرحلة الانتقال التي لم تتضح فيها معالم الهوية العربية المعاصرة .

٢ - ازمة الفكر العربي :

وازمة الهوية مرتبطة بازمة اساسية اخرى هي ازمة الفكر العربي . فما هو الفكر العربي المعاصر ؟ وكيف يمكن توضيح ملامحه

(١٣) قدم علي قطريب عددا من الاقتراحات القيمة حول انتشاء اجهزة جديدة للاستفادة من الكفاءات العربية على اساس علمي بعيد عن البيروقراطية ، منها انشاء مجلس عربي للابحاث ، ومراكز للابحاث العلمية والتطبيقية ، ومكتبة مركزية للوثائق ، وتمويلها من الدول العربية . د. علي قطريب ، « هجرة الكفاءات العربية » الثقافة العربية ( ليبيا ، ديسمبر ١٩٧٤ ) ص ٢٤ .

في هذه المرحلة الانتقالية حيث لا تزال التناقضات الطبقية والاقتصادية تزق المجتمع العربي؟ (١٤) .

تؤثر هذه الازمة الفكرية على العالم العربي ، فلا بد من ان يوضح موقفه من التيارات الفكرية المطروحة ، ولكنه في الوقت نفسه يرغب التفرغ لعمله العلمي الموضوعي . لذلك يقف العقل العربي مشتنا بسبب هذه الازمة الفكرية .

ان الصراع الفكري جزء طبيعي من مرحلة الانتقال التي يمر بها الوطن العربي . ففي هذه المرحلة تنضج ملامح المدارس الفكرية المتصارعة ، فمنها المدرسة الاسلامية والمدرسة القومية والمدرسة الاشتراكية الماركسية (١٥) .

ولكن تبلور الفكر العربي الحديث سيتم مع تطور المجتمع العربي وظهور طبقات جديدة تستطيع ان تربط العقيدة بمصالح فئات الشعب المسحوقة ، وخاصة الفلاحين والعمال . لذلك لا بد للمثقف والعالم ان يواجه ثقافته وعلمه لخدمة هذه الطبقات من شعبه ، وبهذا يشارك في حل هذه الازمة الفكرية .

### ٣ - مشكلة المؤسسات التربوية والتعليمية :

لقد ساهمت المؤسسات التربوية ، المدارس ، المعاهد والجامعات العربية ، في خلق هذه الازمة الفكرية الى حد كبير . فوجود مدارس ومعاهد اجنبية في الوطن العربي ادى الى تعقيد مشكلة الهوية . فمعظم المثقفين العرب الذين درسوا في المدارس والجامعات الاميركية في الوطن العربي ، تشبعوا بالثقافة الغربية الاميركية بمعزل عن ثقافتهم وتاريخهم العربي .

ولقد ساهم تخلف المدارس والجامعات العربية في تمييق هذه الازمة . فعندما تضعف الجامعات والمدارس ومراكز الفكر في المجتمع ، ينطفئ الفكر ويتخلف الانسان عن ركب الحضارة والعلم (١٦) . كما ان الصراع الفكري ساهم في خلق البلبلة حول الاسس التي تقوم عليها المؤسسات التعليمية . فهل يقوم التعليم على الاسس الاسلامية ، ام الاسس الاشتراكية ؟ وما هو وقف الدين من العلم والتطور الحديث؟ (١٧) .

(١٤) راجع الندوة حول الفكر العربي في مجلة « قضايا عربية » ، والتي طرحت التساؤلات حول وجود فكر عربي معاصر ، وعلاقته بمشاكل المجتمع وبالمرحلة التي يمر بها العالم العربي . واستخلصت الندوة بان الوطن العربي يمر حاليا في « محنة حتى على مستوى الفكر » . « تجديد الفكر العربي » قضايا عربية ( بيروت ، اذار ١٩٧٥ ) المجلد ١١ ، ص ١٢ - ٣٠ .

(١٥) راجع دراسة د. محمد البهي حول الفكر الاسلامي الحديث للتعرف على الاتجاه الفكري الاسلامي ، ودراسة ط . شاكور حول قضايا التحرر الوطني والثورة الاشتراكية في مصر للتعرف على الفكر الاشتراكي الماركسي .

(١٦) راجع كتابات عبد الرحمن الكواكبي ومحمد رشيد رضا وجمال الدين الافغاني وپطرس البستاني حول اسباب انحطاط العالم الاسلامي والتي ترجع معظمها الى اهمال العلم والعقل وانتشار الجهل ، وانقسام العلماء عن الحكام . اديب تصور « مقدمة لدراسة الفكر السياسي العربي » ص ٨٤-٩١ .

(١٧) يرى محمد المبارك ان سبب المشكلة الثقافية في العالم العربي هو سيطرة الافكار والمذاهب المخالفة للاسلام على النظام الثقافي . محمد مبارك ، الفكر الاسلامي الحديث في مواجهة الافكار الغربية ( بيروت ، دار الفكر ، ١٩٦٨ ) ص ١٣١ .

ان اعادة بناء المعاهد التربوية العربية واعطاءها الاولوية في خطة التنمية هما جزء اساسي من عملية حل مشكلة الهوية . ولا بد ان تلتزم هذه المؤسسات التعليمية بالبرنامج المرتبط بعملية التفسير والبناء الجديد في المجتمع العربي . ان ربط المدارس والجامعات العربية بمشاكل المجتمع يساعد على توجيه الفكر والعقل العربي نحو الاهتمام بحل مشاكل المجتمع المعقدة عن طريق البحث العلمي والموضوعي . كما لا بد لهذه المعاهد التمهيدية ان تحتفظ بهويتها العلمية واستقلاليتها عن الفئة الحاكمة لتقوم بدورها العلمي الموضوعي (١٨) .

### ٤ - المشاكل الاجتماعية والعائلية :

يواجه المثقف والعالم العربي مشاكل اجتماعية عديدة تؤثر على اقامته وعمله في المجتمع العربي . فالصراع بين التقاليد والعادات الاسلامية والعربية وبين العادات الغربية الجديدة يسبب ازمة لدى المثقفين .

كما ان التطور السريع من المجتمع القروي التقليدي الى المجتمع المدني الحديث يسبب مشاكل جديدة عديدة . فما هو دور العائلة في هذا المجتمع الحديث ؟ وما هو دور المرأة العربية ، وهل تبقى اسيرة المنزل ام تأخذ دورها كقرد عامل في المجتمع يشارك في عملية التغيير والبناء ؟

وكيف يمكن للمثقف والعالم ان يساهم في المجتمع الريفي حيث لا تتوفر رفاهية المدنية الحديثة التي تعود عليها خلال دراسته في الغرب ؟

كما ان موضوع التراث الديني يثير مشاكل اجتماعية عديدة . فما هو دور الدين في المدنية الحديثة ؟ وعلى اي الاسس يمكن تربية الجيل الجديد وانباء العلماء في الوطن العربي ؟ كل هذه المشاكل يواجهها المثقف العربي وتؤثر على قدرته في الانتاج العلمي ، والاستقرار في مجتمعه العربي .

ان الكثير من المثقفين والعلماء العرب يلجأون للغرب هربا من هذه التناقضات الاجتماعية الحادة في المجتمع العربي . فالعقل العربي الذي انشئ نشأة علمانية غربية لا يستطيع مواجهة مشاكل مجتمعه التقليدي العربي ، وبذلك يفضل العودة للبيئة التي تشبع منها بالفكر والعلم .

ان دراسة المشاكل الاجتماعية والعائلية في الوطن العربي كمدخل لفهم التناقضات العربية الراهنة تكاد تكون معدومة . ولعل دراسة د. هشام شرابي ( مقدمات لدراسة المجتمع العربي ) فريدة من نوعها حيث تحاول دراسة مشاكل تربية الطفل العربي واكتشاف العوامل العائلية والتربوية التي تكون الشخصية العربية المعاصرة .

### المشاكل الذاتية :

يواجه المثقفون العرب مشاكل ذاتية عديدة تؤثر على مشاركتهم في العمل بالوطن العربي . فمن واقع ثقافته الغربية المادية ، يتطلع

(١٨) يدعو قسطنطين زريق الجامعة الى الاندماج في المجتمع والمشاركة في آماله ومطامحه والاحتفاظ بدورها في نقد المجتمع . قسطنطين زريق ، « الجامعة ومستقبل الفكر العربي » ص ٦٥١ - ٦٥٢ .

الثقف الى التقدم السريع في المجتمع . فالشهادة بالنسبة له هي وسيلة للوصول الى المناصب العالية في المجتمع . لذلك يلجأ بعض المثقفين الى التقرب للسلطة والتخلي عن المبادئ والقيم العلمية في سبيل الوصول للمناصب الكبيرة .

ويصف د. هشام شرابي المثقفين هؤلاء « بالنزعة الانتهازية » بسبب استغدادهم للمساومة والابتعاد عن المبادئ العليا (١٩) .

كيف يخدم المثقف ، اذن ، الجماهير العربية المسحوقة ، وكيف يستطيع الالتزام بالفاهيم « الفردية » بدون التخلي عن دوره العلمي والوضوعي في المجتمع ؟ والى اي حد يستطيع المثقف والعالم النضحية بالمكاسب المادية في سبيل التزامه بقضايا شعبه العربي ؟ .

ان الوطن العربي بحاجة الى « المثقف المتزم » ، الذي يقف الى جانب شعبه ويلتزم بالكلمة الحرة والمبادئ النابعة من نضال شعبه . ولكن المشكلة التي يواجهها الوطن العربي هي كيفية تربية هذه الكوادر المثقفة والمتزمنة ، خاصة في هذه المرحلة الانتقالية التي تشهد فيها التناقضات الفكرية والسياسية ؟

### العوامل الاقتصادية والمالية :

يعتقد بعض الكتاب العرب ان تأمين المكافآت المالية الموفرة يشجع على عودة الكفاءات العربية واستقرارها في الوطن العربي . (٢٠) ان تأمين الموارد المالية هام ، ولكنه ليس بأهمية العوامل السياسية والاجتماعية والفكرية .

ان المشاكل المالية ثانوية بالنسبة للعوامل السياسية والثقافية والاجتماعية التي سبق بحثها. وتأمين الجو السياسي والاجتماعي والفكري المناسب هو الاعم لان المثقف المتزم مستعد للنضحية المالية اذا توفرت الظروف الاخرى هذه .

ان عودة بعض المثقفين والعلماء العرب للمشاركة في عمس الثورة الفلسطينية والثورة في اليمن الجنوبي لدليل على استعداد المثقفين للنضحية بالعنصر المادي اذا توافرت الظروف السياسية والفكرية المناسبة . ان التزام هؤلاء بالعمل مع الثورة في اليمن الجنوبي وفلسطين لم يكن بسبب الاغراء المادي ، وانما بسبب الالتزام الفكري وبسبب الجو السياسي الذي امنتته الاوضاع في هاتين الحالتين . مع ذلك فان توفر الاستقرار الاقتصادي وتأمين الحاجات الاساسية المعيشية شرط اساسي لعودة الكفاءات ومشاركتها في العمل. فمن واجب الدولة اذن تأمين الاحتياجات الاساسية كتعليم ابناء المثقفين وتأمين الضمان الصحي والاجتماعي . فعندما يشعر

(١٩) راجع فصل « المثقف العربي والمستقبل » حيث يعالج د. هشام شرابي بالتفصيل دور المثقفين العرب ومشاكلهم ، ويقدم تعريفاً بالاتجاهات المختلفة لدى المثقفين . كما يدعوهم الى تحمل دورهم التاريخي والمساهمة في تحقيق التغير في المجتمع العربي . هشام شرابي مقدمات لدراسة المجتمع العربي ( بيروت ، الدار المتحدة للنشر ، ١٩٧٥ ) ص ١٢٩ ، ١٤٠ .

(٢٠) يؤكد د. الياس زين ان اول ما يجب عمله هو تهئية المعاشات والرواتب المناسبة للاختصاصيين العرب ، اذ يعتقد ان هناك علاقة وثيقة بين الرواتب المنخفضة والهجرة . د. الياس زين ، « هجرة الادمغة العربية » ص ١٣٧ .

المثقف والعالم بان مستقبله ومستقبل اولاده مؤمن ، يستطيع ان يتفرغ لعمله العلمي باطمئنان واخلاص .

وقد قام عدد من الدول العربية ، منها العراق وليبيا ، بسن قانون جديد لعودة الكفاءات العربية ، يقدم لها كل التسهيلات والمساعدات المالية ، وذلك لاغراء العلماء العرب بالعودة والعمل في الوطن العربي . يمكن للمثقف ان يتحمل الكبت الفكري ، ولكن من الصعب عليه تحمل الكبت الفكري والكبت المادي في الوقت نفسه .

ان دول الخليج العربي الحديثة تملك الامكانيات المالية لمعالجة هذه المشاكل. فان توفرت الحرية السياسية والاستقرار الاجتماعي تستطيع هذه الدول الحديثة ارساء الاسس لنهضة عربية شاملة في منطقة الخليج العربي تكون القدوة للدول العربية الاخرى .

### الخلاصة :

ان العقل البشري وطاقته الانسان العربي هما الباعثان الاساسيان للنهضة العربية . فلا يمكن بعث حضارة ونهضة عربية جديدة بدون تحرير الانسان العربي وتمكينه من المساهمة الفعالة في بناء مجتمعه الجديد . ولا يمكن تحرير العقل العربي الا عن طريق تحرير الانسان العربي ، لان العقل هو جزء من الانسان .

ان هروب الكفاءات العربية ما هو الا جزء من مشاكل الاضطهاد والتهمس في العالم العربي . لذلك لابد من معالجة الاوضاع الداخلية في العالم العربي لوضع حل جذري لمشكلة هجرة الكفاءات العربية .

ولا يمكن للفكر العربي ان ينتج في مجتمع تنقصه الحرية والديمقراطية ، لذلك فان تحرير الانسان العربي واقامة مؤسسات ديمقراطية شعبية هو الحل الجذري لهذه المشكلة .

ان الاوضاع السياسية والاجتماعية والفكرية في الوطن العربي هي التي تسبب هروب الكفاءات العربية وشل الفكر العربي وانعدام التقدم العلمي . فمعرفة هذه المشاكل الاساسية ومحاولة معالجتها هو الطريق السليم لتحرير العقل العربي وانطلاقه نحو البناء الاخلاق .

ان المشكلة ليست هروب الكفاءات العربية فقط ، انما هي اهمال الانسان العربي عامة واعتباره اداة لا طاقة خلاقة يمكنها تغيير المجتمع . لذلك فان عملية تحرير الانسان العربي ، وخاصة تحرير الفلاح الذي يمثل قوة اساسية في المجتمع ، وتحرير المرأة التي تمثل قوة كبرى في المجتمع هو الاساس لمواجهة مشكلة هجرة الكفاءات العربية .

وتجدر الإشارة هنا الى ان منطقة الخليج العربي تستطيع حل كثير من هذه المشاكل والانطلاق في عملية البناء الجديد . ففي عدد من دول الخليج ( كالكويت والامارات وقطر وغيرها ) لا توجد الرواسب البيروقراطية الحكومية القديمة ، ولا توجد التناقضات الاجتماعية الحادة ، فان توفرت حرية الرأي والاستقرار السياسي ، تستطيع دول الخليج العربي تحقيق تجربة رائدة في التاريخ العربي المعاصر من حيث بناء حضارة عربية مشعة .

د. حاتم الحسيني

مكتب الاعلام العربي بواشنطن